تفريغ محاضرة رقم (٩٣)

- شرح كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد -

للشيخ / خالد منصور

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد إن نبينا المصطفى محمداً عبد الله ورسوله صلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد،

نكمل رحلتنا مع فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للعلامة الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه وطيب ثراه.

ما زلنا مع كلام العلامة ابن القيم رحمه الله وطيب ثراه في بيان مفردات أو نماذج وأمثلة ظن السوء وظن الجاهلية، الظن بالله غير الحق.

قال رحمه الله وطيب ثراه: فكل هؤلاء من الظانين بالله ظن السوء، ومن الظانين بالله غير الحق ظن الجاهلية، ومن ظن به أن يكون في ملكه ما لا يشاء ولا يقدر على إيجاده وتكوينه، فقد ظن بالله ظن سوء، وده تعليق بمين؟ المعتزلة، أنه سبحانه وتعالى لم يشأ الذنوب، ولم يشأ المعاصي، لم يشأ الكفر، لم يشأ الشرور، فأرادوا بزعمهم أن ينزهوا الله تبارك وتعالى عن إيه؟ عن خلق هذه الشرور، أو عن تقدير هذه السيئات فقالوا: لم يقدرها، كانت في كونه وقدره بلا إرادة منه ولا مشيئة، قال: فمن ظن ذلك فقد ظن بالله ظن السوء.

ومن ظن أنه سبحانه كان مُعَطَّلًا من الأزل إلى الأبد عن أن يفعل، ولا يوصف حينئذ بالقدرة على الفعل، ثم صار قادرًا عليه بعد أن لم يكن قادرًا، فقد ظن به ظن السوء، كل دي

إنحرافات في باب القضاء والقدر، ناشئ عن إنحرافات في باب الأسماء والصفات الذاتية والفعلية.

ومن ظن أنه لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم بالموجودات ولا عدد السماوات ولا النجوم ولا بني آدم وحركاتهم وأفعالهم، ولا يعلم شيئًا من الموجودات في الأعيان فقد ظن به ظن السوء، وده يعني به نفاة العلم.

ومن ظن به أنه لا سمع له ولا بصر ولا علم ولا إرادة ولا كلام يقوم به، وأنه لا يكلم أحدًا من الخلق ولا يتكلم أبدًا، ولا قال ولا يقول ولا له أمر ولا نهي يقوم به فقد ظن به ظن السوء يعني نفاة الصفات أيضاً.

ومن ظن به أنه ليس فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه، وأنه أو أن نسبة ذاته إلى عرشه كنسبتها إلى أسفل سافلين، وإلى الأمكنة التي يُرغب عن ذكرها وأنه أسفل كما أنه أعلى وأن من قال: سبحان ربي الأسفل كمن قال: سبحان ربي الأعلى، فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه، يعني نفاة العلو، يعني شيخ الإسلام بهؤلاء الظنين بالله غير الحق نفاة العلو، اللي مش عاجبهم إن ربنا قال: (الرحمن على العرش إستوى)، وبيصولوا وبيجولوا على نفي علو الله سبحانه وتعالى، وللأسف وخاض في هذه المخاض الوحلة كثير من أهل النجابة من المفسرين والأصوليين المشتغلين بعلم الكلام، غفر الله لهم وسامحهم الله عز وجل على ما لوثوا به عقيدة الإسلام في هذه الأبواب الخطيرة.

ومن ظن أنه يحب الكفر والفسوق والعصيان ويأمر بالفساد أو يحب الفساد كما يحب الإيمان والبر والطاعة والإصلاح فقد ظن به ظن السوء، ودول الجبرية، اللي هم عملوا تلازم بين ما قدره الله وما أحبه، قالوا: إذا قدر كذا فقد أحبه، وهو سبحانه وتعالى يُقْدِر ما يشاء فيحب كل ما قدره، وده كلام غلط، لا يفهمون أن الله عز وجل يقدر ما يكره لما يحب كما ذكرناه، إنما حِيل بينهم وبين هذا الباب من أبواب العلم والهدى والبصيرة.

ومن ظن أنه لا يحب ولا يرضى ولا يغضب ولا يسخط ولا يوالي ولا يعادي ولا يقرب من أحد من خلقه، ولا يقرب منه أحد من خلقه، وأن ذوات الشياطين في القرب من ذاته

كذوات الملائكة المقربين، وأولياءه المفلحين فقد ظن به ظن سوء، نفاة القرب، الصفات الفعلية، هو ده كله طبعاً إيه؟ تعريض طبعاً، كل فرق الأمة الضالة الذين ليسوا من أهل السنة والجماعة الثنتين وسبعين فرقة كلهم معطلة لأسماء الله لأفعال الله الإيه؟ لأفعال الله الإختيارية أو لصفات الله الفعلية سبحانه وتعالى، كلهم بلا إستثناء، يعني إحنا بنقول أمثالهم طريقة وأقربهم طريقة من أهل السنة، الأشاعرة اللي أثبتوا بعض الصفات الذاتية المعنوية، وعطلوا بعض الصفات الخبرية أو معظمها، وعطلوا جميع الصفات الفعلية دول أمثلهم طريقة، اللي أقل منهم أصاب أو اللي أدنى منهم أصعب في باب النفي والتعطيل.

ومن ظن أنه يسوي بين المتضادين أو يفرق بين المتساويين من كل وجه أو يحبط طاعات العمر المديد الخالصة الصواب، بكبيرة واحدة تكون بعدها، فيُخلد فاعل تلك الطاعات في الجحيم أبد الأبدين بتلك الكبيرة، ويحبط بها جميع طاعاته، ويخلد في العذاب كما يُخلد من لم يؤمن به طرفة عين، وإستنفذ ساعات عمره في مساخطه ومعاداته لرسله ودينه فقد ظن بالله ظن السوء، دول الخوارج، وزيهم في حقيقة الأمر مين؟ المعتزلة لأن المعتزلة برضو بيعتقدوا كُفر فاعل كبيرة، لكن كفر باطل مش كفر ظاهر يعني، ويعتقدون إن من ألم بذنب فهو من المنافقين نفاقًا أكبر عياذاً بالله، تمام؟ فمن ظن أن الله يحبط العمل بذنب واحد ليس كفرًا؛ فقد ظن بالله غير الحق ظن الجاهلية.

ومن ظن به أن له ولدًا أو شريكًا أو أن أحدًا يشفع عنده بدون إذنه أو أنه بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه، وأنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إليه، ويتوصلون بهم إليه، ويجعلونهم وسائط بينهم وبينهم، أو بينه وبينهم، فيدعونهم ويخافونهم ويرجونهم، فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه، يعني عُباد قبور ومشركة الإيه؟ الأمم سواء المنتسب منهم للإسلام ظلمًا وزورًا أو غير المسلمين من المشركين والنصارى وعباد الموتى والرفات.

ومن ظن به أنه يُنال ما عنده بمعصيته ومخالفته، كما يَناله بطاعته والتقرب إليه فقد ظن به خلاف حكمته، وخلاف موجب أسمائه وصفاته، وهو من ظن السوء.

ومن ظن بـه أنـه إذا تـرك شيئًا من أجلـه لـم يعوضـه خيرًا منـه أو من فعل شيئًا لأجلـه لـن يعطيه أفضل منه فقد ظن بالله ظن السوء ظن الجاهلية.

والله ابن القيم رحمه الله تعالى وطيب ثراه ما نحسبه إلا رجلًا أخلص إيمانـه لله عز وجل، ولا نزكي على الله أحدًا، هتقول: أنت إطلعت على قلبه يعني؟ والله لا يخرج هذا الكلام إلا من قلب طاهر، ولا يدافع عن التوحيد هذا الدفاع إلا إنسان عاشه حقيقة، ده كلام واضح جداً، إن الراجل ده بيتكلم عن حاجة عايشها، مش بيتكلم عن حاجة حافظها، لإن أين تجد هذا الكلام في الكتب؟ أين تجده منصوصاً مرصوصًا مصفوفًا بهذا التسلسل بلا تكلف، حاضر كده عنده، كما قالوا يعني صاحب القلم السيال والسحر الحلال رحمه الله وطيب ثراه.

قال: ومن ظن أنه يغضب على عبده ويعاقبه ويحرمه بغير جُرم سبب من العبد إلا بمجرد المشيئة ومحض الإرادة، فقد ظن به ظن السوء، برضو تعريض بمعطلة الإيه؟ الحكمة.

ومن ظن به أنه إذا صَدَّقَه أو إذا صَدَقَه في الرغبة والرهبة العبد يعني، وتضرع إليه وسأله وإستعان به وتوكل عليه أن يخيبه ولا يعطيه ما سأله، فقد ظن به ظن السوء، وظن به خلاف ما هو أهله سبحانه وتعالى، فإن الله عز وجل هو (أهل التقوى وأهل المغفرة)، فإذا إستغفره العبد غفر له، وإذا إتقاه العبد وقاه، وإذا أحسن إليه أحسن إليه، وإذا عمل حُسنًا جزاه بالحسن، (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان).

ومن ظن أنه يثيبه إذا عصاه كما يثيبه إذا أطاعه، وسأله ذلك في دعائه فقد ظن به خلاف ما تقتضيه حكمته وحمده، وخلاف ما هو أهله وما لا يفعله.

ومن ظن به أنه إذا أغضبه وأسخطه وأوضع في معاصيه، ثم إتخذ من دونه أولياء ودعا من دونه ملكًا أو بشرًا حيًا أو ميتًا، يرجو بذلك أن ينفعه عند ربه ويخلصه من عذابه فقد ظن به ظن السوء، فأكثر الخلق بل كلهم إلا من شاء الله يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، ظن السوء، (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله)، (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين).

والواقع العملي عبر التاريخ إلى ما يشاء الله، الكفار هم الغلبة، الكفار الأصليين من عباد الأوثان والأحجار والملاحدة، ومن أهل الكتابين المنسوخين التوراة والإنجيل، ومن ضُلال الأمة المرتدين في باطن أمرهم وإن لم يُظهروا ذلك، ده كثير جداً جداً، إحنا بنقول سكان العالم الآن يعني ستة مليار دخل في سبعة أهو، تمام؟ ستة مليار وشوية، خمسة أسداسهم من الكفار الأصليين، خمسة أسداس سكان كوكب الأرض من الكفار الأصليين، والثلث الباقي اللي هو المليار وشوية دول فكة المسلمين على ما فيهم، يعني دول مسلمين بطايق، مسلمين يعني على الورق، من تحقق بالإسلام ومن كان منافقًا في الباطن، ومن أعرض عن الإسلام ظاهرًا وإن إنتسب إليه بالأوراق موجودين كثير جداً لا كثرهم الله.

فعشان لما ابن القيم يدي لك المعادلة دي أو النتيجة التقرير النهائي ده، أكثر الخلق بل كلهم إلا من شاء الله يظنون بالله غير الحق ظن السوء.

طبعاً ما تسحبش ده على أهل بلدنا وأهل مساجدنا وأهالينا وأهل الإسلام لأ دول مش كده، قد يقع في شيء من هذا بالجهل والضلالة، وإحنا واجبنا إن إحنا نعلم ونرشد ونوجه، لكن لما أقول فأكثر الخلق يعني الخلق الخلق، مش الناس اللي عندك في الشارع تقول لي أكثر الخلق، ولا الناس اللي وراك في صف المسجد، ولا بيحضروا لك في خطبة الجمعة، ولا نسايبك ولا قرايبك ولا أصحابك ولا الإخوة، تقول لي: أكثر الخلق يظنون بالله، مش دول أنت وجه نفسك أكثر اللي هم أكثر يعني، عشان بس أنت ما تعيش في دور ما هواش طبيعي يعني.

فأكثر الخلق بل كلهم إلا من شاء الله يظنون بالله غير الحق وظن السوء، فإن غالب بني آدم يعتقدون أنه مبخوس الحق ناقص الحظ، يعني كل واحد على نفسه يعني، يقول لك: ما أنا ما ليش بخت، أنا قليل البخت، جتنا نيلة في حظنا الهباب، اللي بقت نكتة بيتطارف بها الناس، يعدونا من الطرافة يعني، والحاجة الظريفة والجميلة، والأغاني اللي بنسمعها بقى، منهم من يعتقد أنه مبخوس الحق، المثل الجريء المجرم السافل/ يدي الحلق للي بلا آذان، أهو

بيستكتر على ربنا إن هو أو بيعتب على ربنا إن هو بيعطي من لا يستحق، لأنه شايف نفسه يستحق بسلامته، حاجة طبعاً صعبة جداً وغريبة.

فإن غالب بني آدم يعتقدون أنهم، أو أنه كل واحد منهم مبخوس الحق ناقص الحظ، وأنه يستحق فوق ما شاء الله وأعطاه، يعني فوق ما شاءه الله له وأعطاه، ولسان حاله يقول: ظلمني ربي، ومنعني ما إستحقه، ونفسه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكره، لا لا لا والله لا ده رضا وأقل من كده رضا أقل من كده، يعني تعريض بالقلة، إن أنا ما خدتش حقي، ما خدتش اللي أنا إستحقه، ومتسلفنه، ولكن (ولتعرفنهم في لحن القول).

زي واحد من الناس بلغني خبره، أسأل الله عز وجل أن يكون قد أماته على الإسلام، لإن الكلام ده كفر يعني بين، ده إبنه اللي بيحكي لي، كان راجل تارك صلاة وكان جبار عنيد ومفطر في رمضان، إنسان عامي جاهل لا يقرأ ولا يكتب لكن مغرق في الضلالة والجهالة عياذًا بالله، وكان سب الدين ده على لسانه زي اللبان كده عافانا الله، فمرة أصابه مصاب بدني، يعني أتعور كان شغال في فرن فإتلسع فبطل يشتغل، فيقولوا له: إحمد ربنا، يقول لهم: على إيه؟ يعني أحمده، على إيه يعني؟ هو عمل لي إيه عشان أحمده؟ كده ابنه اللي قال لي كده، وأسأل الله عز وجل أن يكون قد توفاه على الإسلام، لإن ده كفر بين، ما فيهوش فصال يعني.

فالشاهد هنا يعني بيقول: إن الكلام ده لابن القيم بيرفع التقرير ده من الواقع مش من الهوى يعني، فأكثرهم يقول: أنه يستحق فوق ما شاء الله له وأعطاه، ولسان حاله يقول: ظلمني ربي، ومنعني ما إستحقه، ونفسه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكره، ولا يتجاسر عن التصريح، بل والله قد سمعنا ورأينا من يتجاسر عن التصريح، عافانا الله والمسلمين.

ومن فتش في نفسه أو فتش نفسه وتغلغل في معرفة طواياها رأى ذلك، رأى ذلك فيها كامنًا كمون النار في الزناد، فإقدح زناد من شئت ينبئك شراره عما في زناده، ما هو الحجر اللي بينخبطوا في بعض كده دول إسمه الزناد، هو الحجر فيه إيه؟ فيه طاقة نارية موجودة، لا تظهر إلا بالقبح، حكهم في بعض بس، إصدمهم ببعض بس، عيش الواقع بتاعهم هيطلع لك

اللي جواهم، وكل إناءٍ بما فيه ينضح، فالناس ماشيين على الستر والسلامة، الدنيا ماشية كده، لما يجيء له مصاب على طول قُدح زناد إيه؟ قُدح زناد فجره وكفره وطلع اللي عنده على طول، تمام؟ فإقدح زناد من شئت ينبئك شراره عما في زناده، رحمه الله تعالى ما أفصحه وأبلغه.

قال: ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتًا وتعتبًا على القدر وملامة له، وإقتراحًا عليه خلاف ما جرى به، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش في نفسك، هل أنت سالم من ذلك؟ نسأل الله عز وجل العافية والسلامة

فإن تنجو منها تنجو من ذي عظيمة وإلا فإني لا أخالك نجيًا

فليعتني اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليتب إلى الله ويستغفره، اللهم إغفر لنا وتب علينا، وعلى والدينا وعلى المسلمين يوم يقوم الحساب.

فليعتني اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليتب إلى الله ويستغفره في كل وقت، من ظنه بربه ظن سوء، الحمد لله ما هوش أنا، أنا مش تبع الموضوع ده، لا ده أنت مغموس فيه إلى أذنيك ولكن الله عز وجل يعني إيه بس؟ نسأل الله أن يريد بنا خيرًا، وأن يجعل لنا من كل همٍ فرجًا، ومن كل ضيقٍ مخرجًا، وأصعب الهم هم الكفر، وهم الشك وهم الريب عياذاً بالله، أوعى تفكر إن الجماعة الكفار مستريحين يعني، سيبك أنت من هم الدين والمال والمرض والعيال، لأ كل ده كلام فارغ، ده ما لوش أي لأزمة، فتنة المؤمن في نفسه وولده تكفرها الصلاة والسلام والصدقة وخلاص الموضوع سهل يعني، إنما فتنة الإنسان في دينه، إنسان يُفتن في دينه، يُبتلى في إيمانه، يُهتز بنيانه توحيده، ده دا أزمة كبيرة، فاللي ما عندوش بنيان أساسًا أصلاً في هم وغم ونكد، أوعى تظن إن هم سعداء، أوعى تظن، إنما هو سُكْر الشهوة، هو بيخرف في سُكْر الشهوة، إنما لو فاق يفوق للعذاب على طول.

يقول: فليعتني اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليتب إلى الله ويستغفره في كل وقت، ولذلك كان سيد الأنبياء صلوات الله عليه يستغفر الله ويتوب إليه في يومه أكثر من مائة مرة أو أكثر سبعين مرة، كل يوم وهو مش محتاج، إنما يفعل ليشرع صلوات الله عليه.

وليظن السوء بنفسه أي المسلم العاقل، وليظن السوء بنفسه التي هي مادة كل سوء، ومنبع كل شر، المُركبة على الجهل والظلم، ولذلك يقول لك: أصل أنا معلش أصل أنا نفسي عزيزة علي، نفسك عزيزة عليك عشان أنت تجهل ما هي نفسك، نفسك عزيزة عليك عشان أنت تجهل أمر ربك، نفسك عزيزة عليك عشان أنت ما أنتاش عارف يعني إيه عبودية؟ نفسك عزيزة عليك عشان أنت مدي لها أكبر من حجمها كثير قوي قوي، فعشان بتوقعك في مساخط الله سبحانه وتعالى.

-عندي أنا؟ طيب ألحقني، ازاي ما نفوتش حاجة؟ أحسن الله إليك، نفع الله بك، ماشي يا حبيبي، طيب نرجع ثاني-

بيقول هنا: -لأ إحنا قفزنا- ومن ظن طب ما إحنا كده هنوجع كثير قوي، هنرجع كثير معلش أصل إحنا كده تجاوزناها بكثير كان يعني لحقتنا بدري شوية أحسن الله اليك، نفع الله بك-

هو طبعاً كلام ابن القيم أنت لو أنت رجعت للأصل المصدر نفسه، هتقعد تقرأ ليل ونهار ونهار وليل مش هتطلع مش هتخلص في الزاد يعني.

طيب هنا بيقول: وليظن السوء بنفسه، الواجب عليك، أن يظن السوء بنفسه التي هي مادة كل سوء، إعرف نفسك كويس، مادة كل سوء، ومنبع كل شر، مُركبة على الجهل والظلم فهي أي النفس الأمارة أو النفس السيئة منبع الشرور، فهي أولى بظن السوء من أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين وأرحم الراحمين الغني الحميد الذي له الغنى التام والحمد التام، والحكمة التامة، المنزه عن كل سوء في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه، وصفاته كذلك، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة ورحمة وعدل، وأسماؤه كلها حُسنى سبحانه وتعالى.

فلا تَظْنُنَ ظن سوء فإن الله اولى بالجميل، فلا تَظّنن ظن سوء أو شددوها، فلا تظنن ظن سوء فإن الله أولى بالجميل له، أه أصل مش عندي بربك دي، ما أنا عمال أعدل البيت مش

راضي حتى ينفع أوضة وصالة، فلا تظنن بربك ظن سوء، كده تمام؟ أه كده تمشي، شوف عدت أهي،

فلا تظن بظنك بربك ظن سوء   فإن الله أولى بالجميل

إنظبطت،

ولا تظنن بنفسك قط خيرًا   فكيف بظالم جان جهولي

وقل يا نفس مأوى كل سوء   أترجو الخير من ميت بخيل

فظن بنفسك السوأى تجدها، ظن بها السوء، مؤنث الأسوأ، لفظ المؤنث في البنية الصرفية، أفعل وفعلى، الأسوأ والسوأى، وظن نفسك السوأى تجدها كذلك، كذاك مش وكذلك، كذاك وخيرها كالمستحيل وخيرها

وظن بنفسك السوأى تجدها   كذاك وخيرها كالمستحيل

كذاك هي عندكم كذاك ولا كذلك؟ لا كذاك؟ ما ينفعش كذلك تبقى تكسر البيت.

وظن بنفسك السوأى تجدها   كذاك وخيرها كالمسحيل

وما بك من تقىً فيها وخير   فتلك مواهب الرب الجليل

وليس لها ومنها وليس لها ولا منها ولكن، صح؟ أه ما عنديش ولا بس هو الوزن يقتضي.

وليس لها ولا منها ولكن   من الرحمن فإشكر للدليل

جزاه الله خيرًا، تلك مواهب؟ نعم؟ تلك مواهب الرب، فين دي؟ إزاي الرب إزاي؟ فتلك مواهب الرب، أه، أيوة، إزاي؟ لا فتلك مواهب الرب الجميل، الجليل إذا كانت الجليلة مكسورة تبقى الرب إزاي؟ لا أنت اللي عندك الكاميرا سهلة.

وظن بنفسك السوأى تجدها   كذاك وخير هاك المستحيل

وما بك من تقىً فيها وخيرٌ   فتلك مواهب الرب الجليل

وليس لها ولا منها ولكن   من الرحمن فإشكر للدليل

قوله: (الظانين بالله ظن السوء)، قال ابن جرير رحمه الله تعالى في تفسيره -لسه بدري- (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء)، قال: الظانين بالله أنه لن ينصرك وأهل الإيمان بك على أعدائك، كلام بقى أأدب من كلام ابن القيم، ابن جرير الطبري من علماء القرن الثالث الهجري رحمه الله، يعني دا من السلف يعني قطعًا، بل هو من صالحيهم رضي الله تعالى عنه وأرضاه، أهو ده من تلامذة المذهب الشافعي، ابن جرير الطبري شافعي، لكن هو بقى بلغ الإجتهاد المطلق رضي الله تعالى عنه.

سبحان الله يعني إن ربنا يهديه لسلامة المعتقد في تفسير القرآن بالصورة دي وبالكمية الضخمة دي، خذ بالك وده مختصر تفسير ابن جرير الطبري ده أصلاً إختصره من أصل كان في دماغه، فاكرين القصة بتاعته وهو في قصة تدوين التفسير وتاريخ الدنيا، ما هو عنده تاريخ الإسلام، تمام؟ اللي هو بتاع الطبري، تاريخ الطبري إسمه كده تاريخ الطبري أنه الإسم المشتهر التجاري يعني، وتفسير القرآن، هو قعد كده مع التلامذة بتوعه بقى اللي هم التلامذة يعني فقال: هل تنشطون في تفسير أو في كتابة تاريخ الدنيا منذ خلق الله الخلق إلى ساعتنا هذه؟ قالوا: في قدر كم يكون؟ ما هنتفق عشان نشوف هنسد معك ولا لا؟ قال: في قدر ثلاثين ألف ورقة يعني، هنعملها أكثر من كده، ثلاثين ألف ورقة يعني على طبعتنا الجديدة دلوقتي بالليزر والكلام اللي متظبط ستين مجلد، وعلى خطه زمان عايزة نقلة قطر بضاعة بقى، ده قصة ثانية دي، ما هو الصفحة عندهم مش زي الصفحة دي، فقالوا: هذا أمر تفنى دونه الأعمار، إحنا نجيب عمر منين لستين ألف ورقة؟ فقال: إنَّا لله ضاعت الهمم، فقعدوا يفاصلوا معه لحد ما كتبوا فيه إيه؟ عشرة آلاف ورقة، ثلث، السدس، من ستين ألف، أه من ثلاثين ألف، أه، من ثلاثين ألف لعشرة آلاف ثُلث المجهود، قال بعدها فترة كده: هل تنشطون في كتابة تفسير كتاب الله عز وجل من بدايته إلى خاتمته؟ قالوا: في قدر كم يكون؟ قال: في قدر التفسير، الأولاني: ثلاثين ألف ورقة، يعني ستين مجلد من القطع الجديد، لو مشينا إن الورقة ورق، يعني لو على هو برضو عايز بقى ستين نقلة

يعني، فقالوا: هذا أمرٌ تفنى دونه الأعمار، قعدوا يفاصلوا معه لحد ما إيه؟ يعني تنازل وتواضع وقال: خلاص نمشيها على أبو عشر آلاف ورقة وأمرنا لله، تمام؟ عشرة آلاف ورقة، هو دلوقتي في عشرين مجلد تفسير الطبري رحمه الله تعالى، أو بضعة وعشرين يعني حسب الطبعات، وهو يعني أعظم تفسير على وجه الأرض تمامًا، تفسير الطبري رحمه الله تعالى وطيب ثراه.

وطبعاً خذ بالك بقى إن أنت مش هتجد حد ينتقصه أبدًا إلا أهل البدع، خالص، وما حدش يعني الطبري واقف له في الزور غير المتكلمة والمعتزلة بس، إنما أهل السنة الذين هم أهلها ابن جرير الطبري ده شيخ المفسرين بإطلاق يعني، نعم.

الطبري بقى بيقول إيه؟ (يظنون بالله غير الحق) قال: الظانين بأنه لن ينصرك وأهل الإيمان بك على أعدائك، ولن يظهر كلمته، فيجعلها العليا على كلمة الكافرين به، وذلك كان السوء من ظنونهم التي ذكرها الله في هذا الموضع، يقول تعالى ذكره على المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الذين يظنون هذا الظن دائرة السوء، يعني على هؤلاء دائرة السوء، شوف أنت بداية الجملة وآخرها عند ابن جرير، عايزة إنتباه، يبقى بيقول هنا إيه؟ يقول تعالى ذكره على المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الذين الذين ظنوا هذا ظن دائرة السوء، شوف بص كده؛ يقول تعالى ذكره على المنافقين دائرة السوء، دي الجملة اللي باقي ده إستطراد وإيضاح وتبيين، إنما مبتدأ جملة ومنتهية أهي؛ على المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات دائرة السوء، مين هما بقى؟ اللي عملوا كده، يعني عايز يقول: أنا قلت دائرة السوء هنا أو ظن السوء هنا هو كذا لأن ده سياق الآيات، يعني كان واحد هيسأله أنت ليه ما قلتش كثير قوي زي ابن القيم؟ قال لهم: لا أنا مش بعمل بحث موضوعي، ابن القيم عامل تفسير موضوعي للآية، دا عمل بحث على الآية دي، وقال: اللي أنتم سمعتوه ده كله، أما إن أنا راجل شغال في تفسير كتاب الله آية آية، اللائق بهذا الموضع ما ذكرته بس كده أو ما يقاربه، فما فيش داعي للتوسع في الموضوع، ده نظرية الإيه؟ التفسير بقى اللي هو ماسك المحطات كاملة، إنما ابن القيم عمله موضوع ما هو ظن السوء؟ بحث سلسلة محاضرات في بيان ظن السوء، ماشي خلاص خذ الموضوع ده

وإشتغل، فجاب اللي يتعلق بالآية من قريب أو من بعيد أو ما لا تعلق لها بالأصالة إلا في المعنى العام، وده مش ده تفسير دا إلحاق بقى.

قال: هذا الظن دائرة ظنوا هذه، الذين ظنوا يبقى هنا وإختلف القراء ماشي، يعني دائرة العذاب تدور عليهم به وإختلف القراء في ذلك فقرأه عامة قراء الكوفة (دائرة السَوء) بفتح السين، وقرأ بعض قراء البصرة (دائرة السُوء) بالضم، وكان الفراء يقول: الفتح أفشى في السين، وقل ما تقول العرب (دائرة السُوء) بضم السين، مش في السين اللي في الدنيا كلها في السين بتاعة السوء دي، عشان مش واحد يقول لك: السين ما بتجيش إلا مضمومة إزاي يعني؟

وقوله: (وغضب الله عليهم ولعنهم)، يعني ونالهم الغضب أو نالهم الله بغضب منه، ولعنهم يقول: وأبعدهم فأقصاهم من رحمته، (وأعد لهم جهنم) يقول: وأعد لهم جهنم يصلونها يوم القيامة (وساءت مصيرًا)، يقول: وساءت جهنم منزلًا يصير إليه هؤلاء المنافقون، يبقى المصير، المنزل الذي يصيرون إليه، (وساءت مصيرًا) يعني وساءت جهنم منزلًا يصير إليه هؤلاء المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات.

قال العماد ابن كثير رحمه الله: (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظامين بالله ظن السوء) إيه علاقة ابن كثير بابن جرير؟ مختصر ابن كثير إختصار لابن جرير، ما عملش حاجة غير كده إلا بعض إستدراكات على ابن جرير رحمه الله تعالى في مخالفات معدودة محدودة، تمام؟ أي نعم هي بالعشرات في الكتاب لكنها بالنسبة لمادة الكتاب ما هيش أصل ده تابع يعني، إنما مشروع ابن كثير كاملًا من أوله لآخره إختصار تفسير ابن جرير الطبري بس.

ولذلك العلامة محمد محمد أبو شهبة رحمه الله تعالى من علماء الأزهر غفر الله له ورحمه الله بيقول: وتفسير ابن كثير هو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها على الإطلاق، تفسير ابن كثير، إحنا قلنا ابن جرير الطبري أعظم تفسير في الدنيا عند أهل السنة، تمام؟ ده عمل مشروع نشن صح، راح نازل على أحسن حتة وهو طبعاً مدرسة ابن كثير وابن جرير

عفوًا ابن كثير والذهبي حريفة جداً جداً في إختصار المطولات، الإمام الذهبي قعد بقى في الحتة دي كده، الإختصار مختصر تاريخ دمشق، التاريخ بتاع ساكن، أه تاريخ دمشق لابن عساكر، تاريخ دمشق ده ثمانين مجلد، ابن الذهبي رحمه الله إختصره عشان عارف إن الهمم في عصره مش هتخلص ثمانين مجلد قراءة.

طبعاً دلوقتي الهمم دلوقتي مش عارفة تروح الناحية دي حتى تتفرج على الكتاب من برة، تمام؟ أيوة صح، وطبعاً الكتب بتنطبع وبتترمى، أنا شوفت تاريخ دمشق مرة سنة ١٩٩١/١٩٩٠ في مكتبة، مرمي كده في الصف اللي تحت ثانين مجلد جنب بعض، فبسأل صاحبه بقول له: هو ده تاريخ ابن عساكر اللي هو تاريخ دمشق المعروف بتاريخ ابن عساكر، قال لي: أه ما هو من ساعة ما جبناه المكتبة محطوط ما حدش بيبص عليه، ولا حد هيبص عليه، وهيبوظ قال لي: أنا عارف أنا هخسر في الكتاب ده قطعًا مش هينباع، طب أنا طبعاً ما كنتش أتخيل إن أنا أصلاً ولا هلمسه، أنا بسأل وخلاص هو ده ليه مرمي كده يعني؟ مش بقول عشان عايز أقرأه ولا أشتريه؟ أنا مستغرب كتاب كثير كده جنب بعضه ومحطوط عليه تراب، حالته صعبة يعني، الله المستعان.

طيب خلينا مع الإمام الكبير ابن كثير رحمه الله بيقول بقى في تفسير الآية: (الظانين بالله ظن السوء)، قال: أي يتهمون الله في حُكْمه أو في حِكَمِه تنفع كده وكده، ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه أن يُقَتَلوا، ويذهبوا بالكلية أو يُقْتَلوا ويذهبوا بالكلية، ولهذا قال تعالى: (عليهم دائرة السوء)، وذكر في معنى الآية الأخرى نحوًا مما ذكره ابن جرير رحمهما الله تعالى.

قوله: قال ابن القيم رحمه الله الذي ذكره المصنف في المتن قدمته لإندراجه في كلامه الذي سقته من أوله إلى آخره.

وكده إحنا وصلنا يعني إلى خاتمة هذا الباب ونذكر الإيه؟ المسائل اللي هو ذكرها فيه، قلنا في المسائل: (تفسير آية آل عمران - تفسير آية الفتح - ومنها الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصى).

وقد رأينا كل اللي عمله ابن القيم رحمه الله ده إشارة وأمثلة لرؤوس المسائل الكبار اللي هي تعتبر الخلاف بين أهل الإسلام الحق؛ أهل السنة والجماعة وبين أدعيائه من الفرق النارية التي قال فيها النبي ﷺ: (كلها في النار إلا واحدة)، ودا على إختلاف مشاربهم وإختلاف مذاهبهم.

يبقى هنا الإخبار بأن ظن السوء وظن الجاهلية واقع في الناس بما لا يحصيه إلا الله سبحانه وتعالى، والأزمة بقى الحقيقية والمسلك العملي في هذا أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه، بهذا تتحقق السعادة، وبهذا ينجو الإنسان في الدنيا، وبهذا يهنأ في دوره الثلاثة دار الدنيا ودار البرزخ ودار الآخرة.

نكتفي بهذا القدر.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً